وقاية الحياة الزوجية من أبغض الحلال عند الله

لوحظ أن أكبر نسبة للطلاق ، تحدث فى العام الأول من الزواج ، وأن الغالبية العظمى من المطلقين والمطلقات ، شبان وشابات فى مقتبل العمر ... فما سبب هذه الظاهرة الاجتماعية المنبوذة يا ترى ؟ .

يجيب العلم * عن السؤال . بأن أغلب المطلقين صغار السن ، يتزوجون قبل أن يستعدوا استعداداً كاملاً لمواجهة مشكلات الزواج ، ومسئولياته ، وتبعاته ، بالتكامل الوجدانى ، ونضج الشخصية ، ولو أن كل شاب وفتاة سألا نفسيهما بصراحة ، وأجابا بأمانة ، عن سؤال مؤداه : «هل أنا أهل للزواج الآن ؟» ، لما أقدما على زواج يعتبر ورطة ، ولما حدثت ملايين من حالات الطلاق .

السبب الأول للطلاق إذن هو عدم اكتمال النضج الانفعالى عند العروسين ، مما يفقدهما مرونة تبادل التعامل ، كما أن تعقد الحياة وزيادة التطلعات والكماليات أصبحت ينابيع نزاع فى العصر الحديث . ومن أسف أن شباب اليوم ـ خاصة صغار السن ـ يهرولون إلى الزواج يغلب عليهم دافع الجنس ، وليس لديهم معلومات صحيحة كافية ، عن آداب الحياة الزوجية على الأغلب . وسرعان ما تنطفئ جذوة الرغبة ، وتتكشف حقائق حرص أحدهما أو كلاهما على إخفائها ، فينهار المشروع الذى بنى على الغش ، أو لم يحسنا الاستعداد له، أو عازتهما الكفاءة لتحمل مسئولياته بسبب عدم النضج .

ومن أسباب الطلاق أشياء صغيرة لكنها مغضبة ، كالعادات المثيرة ، صغيرة لكنها قادرة على تدمير الزواج . قد يبدو خيالياً ، أن تبدأ مناقشة ، حول طريقة استعمال الصابونة ، أو أنبوب معجون الأسنان فى الحمام ، ثم تنتهى فى محكمة الأحوال الشخصية بالطلاق . لكنها الحقيقة المرة . تبدأ المشكلة بأن

* بروفيسور كليفورد آلن – أستاذ الاجتماع الأسري بجامعة باركروز ، بورتلاند .

يلاحظ الزوج أن زوجته تسرف فى استعمال المعجون ولا تغطى الأنبوب ، أو تترك الصابونة فى الماء فتبلى بسرعة ، أو تترك آنية الطعام عارية ، أو أبواب خزانة الملابس مفتوحة ، فيلفت انتباهها إلى ضرورة تلافى هذه العادات : الإهمال ، والتبذير ، واللامبالاة ، وتحتد المناقشة . فيكتشف فيها العناد ، والوقاحة ، وبذاءة اللسان ، وقد تكتشف فيه القسوة ، والعنف . وتتعرى العلاقة بينهما من ستر الحب والحنان والرقة والنظام والنظافة والظرف والأدب والطاعة والتعاون وغيرها من السمات المحببة المصطنعة .

ذكرت مستشارة زواج مرموقة * ، أن ٥٠٪ من حالات الزواج المهددة بالطلاق التى عرضت عليها ، سببها العادات المزعجة . المشكلة أن هذه العادات لاتبدو خطيرة بما يكفى لهدم عش الزوجية . ولكن الحقيقة أنها قاتل رئيسى للزواج . وقد اقترحت إحدى خبيرات المعهد الأمريكى للعلاقات الزوجية * عقداً من ٧٧ نقطة ، يوقعه الطرفان قبل الزواج ، ربما كان مصدر الإلهام لمقترحى عقد الزواج المصرى المشروط . وينص العقد الأمريكى على اتفاق بالتزام النظافة ، والنظام ، والهدوء ، والبهجة ، وتجنب أشياء منها : إثارة الموضوعات المزعجة أثناء تناول الطعام ، ومن بين ما جاء بالعقد :

* أوافق على ألا ألجأ للشكوى والتذمر .
* أوافق على أن أخبر زوجى « أو زوجتى» بكل تحركاتى وتصرفاتى .
* أوافق على بذل أقصى جهد لأترك للطرف الآخر اتخاذ قراراته الشخصية فى أمور مثل : الملبس ، والمأكل ، والمشرب ، و القول ، والراحة ، والنهوض من النوم ، والذهاب إلى الطبيب .

ينشأ النزاع حول العادات غالباً بسبب اختلاف أساليب التربية وتباين البيئات الاجتماعية . إذا نشأ زوج حيث كل شئ نظيف منظم ، فإنه يتوقع النظافة والنظام من زوجته ، ويتشدد فى أن ترتفع إلى مستواه ، لا أن تهبط به إلى عاداتها البدائية . وتظل المشكلة قائمة حتى يتخلى أحد الطرفين عن عاداته أو يفترقا .

* د . جيرولد كون – مديرة المعهد الأمريكي للعلاقات الأسرية في لوس أنجلوس .
* د . ميري جين هنجرفورد .

ويأتى دور المال والمشكلة الاقتصادية كعنصر مهم من أخطر العناصر التى تشترك فى ٧٥٪ من مشكلات الأسرة المهددة بالطلاق . وفى إحصائية أخرى أن المشكلة المالية تهدم ثلاثاً من كل عشر زيجات .

وللمشكلة المالية شقان هما : قصور الدخل ومسئولية الإنفاق . قصور الدخل قد يكون بسبب البطالة ، والبطالة وحدها سبب قوى من أسباب الطلاق . وقد يكون بسبب سوء التصرف فى الدخل المتاح . ويدخل فى سوء التصرف : الإدمان على التدخين ، أو الخمر ، أو الميسر ، أو المجون ، أو الإسراف فى شراء أشياء فوق طاقة الدخل . والعلاج فى مثل هذه الحالات معروف . فما حرم الله علينا الخمر ، والميسر ، والفسوق ، والتبذير ، والإسراف جزافاً ، وما أمرنا بألا نجعل أيدينا مغلولة إلى أعناقنا ، ولا نبسطها كل البسط اعتباطاً ، وإنما لحكمة شاملة منها الوقاية من العوز والفاقة والاحتياج ، وحفظ كيان الأسرة من التفكك .

يجب أن تضع كل أسرة ميزانية خاصة تلتزم بها ، تنظم النفقات الشهرية من مسكن ، ومأكل ، وملبس ، ومواصلات ، وأسباب الرفاهية وغير ذلك . بل يجب أن تقتطع من الدخل قدرا ولو يسيرا تدخره شهريا بانتظام ، ينفعها فى الملمات .

الشق الثانى للمشكلة المالية هو النزاع بين الزوجين على تحديد مسئولية الإنفاق . ومن حسن الحظ أن الشريعة الإسلامية قد حددت تلك المسئولية بما لا يدع مجالاً للنزاع . الرجل هو المسئول عن الإنفاق على الزوجة والأسرة من ماله . وليس لزوجة أن تنفق من مالها أو ريع أملاكها على زوجها والأسرة . إلا تبرعا عن طيب خاطر .

والآن ، كيف نوجه زورق الحياة الزوجية فى المياه الهادئة بعيداً عن صخور التفكك والطلاق؟ .

يحتاج الزواج إلى صيانة وخدمة مستمرة . فى السطور التالية عشر نقاط ينبغى مراجعتها كل شهرين ، تمضى حياتك الزوجية فى سلام ووئام ، بعيداً عن مخاطر الانهيار :

١ـ هل زواجك عادل متوازن ؟ ... العدل والتوازن عاملان مهمان وحيويان لا يحتاج الزواج أبداً إلى أن يتنازل الزوج أو الزوجة عن تفرده . يجب أن يجتهد الطرفان ، فى العمل على أن يتمتع كل طرف ، بأكبر قدر ممكن من الحرية ، فى حدود الدين والتقاليد الحميدة .

٢- هل يسود التعاون بينكما ؟ ... تجنب الشجار من أجل إقرار الرئاسة فى الأسرة ، فقد حسمتها الشريعة الإسلامية بقوله تعالى : ﴿ الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ ﴾ [النساء : ٣٤] . لكن ذلك لا يعطى الرجل حق الدكتاتورية والاستبداد بل يلقى على كاهله واجبات القوامة وهى كثيرة ، ليكن كل منكما رئيساً فى القطاع الذى يخصه . كل طرف يريد أن يكون الرئيس والتابع فى الوقت نفسه . لتكن العلاقة علاقة مشاركة .

٣- هل يحترم كل منكما الآخر ؟ ... إذا قال أحدكما : إنه لا يستطيع احترام الآخر ، كان الزواج متداعياً آيلاً للانهيار . الزواج علاقة مباركة بين شخصيتين مختلفتين ، فلابد من وجود مكان لهذه الاختلافات القائمة بينهما أصلاً . وعلينا أن نحترم تلك السمات الفردية ، لأنها علامة على النضج .

٤- هل تهتم بتخطيط حياتك الأسرية ، بمثل اهتمامك بتخطيط حياتك العملية ؟ .... يتطلب ذلك قدراً كبيراً من الجهد والمعرفة . احترس من الشراء بالدين أو بالتقسيط . وبدلاً من شراء ما تريد ، اشترِ ما تحتاج . الخوض فى الديون ، يضخم المشكلات الزوجية ، ويعرض الزواج للغرق .

٥- هل لكما صداقات كافية لإسعادكما؟ ... كثيراً ما تنشأ زيجات حيث لا تتوافر صداقات . تتكون الحياة الاجتماعية اليوم - على الأغلب - من أسرة قوامها الزوج والزوجة ، ولاشك فى أن ذلك يشكل قصوراً اجتماعياً ، يرسخ نوعاً من الشعور بالوحدة والعزلة ، ابحث عن أسر مخلصة ذات دين فذلك أدعى للخروج من العزلة .

٦- هل تسود بينكما البهجة ، والسرور ، والمودة ، وروح الصداقة والدعابة ؟ ابتعد عما يحزن أو يصدم الطرف الآخر ، ليرفع كل منكما روح الآخر

المعنوية . المجاملة والإطراء فى غاية الأهمية . لا تتطرق إلى موضوعات حساسة مثيرة . قل الفكاهات ولو على نفسك ، تقبل اللوم ما دام حقاً وعدلاً .

٧- هل بذرت بذور التفاؤل ؟ ... البهجة والسرور والانشراح رؤوس أموال تدر أرباحاً سخية . هذا لا يعنى وجوب التهرب من الواقع ومشكلاته . وتذكر دائماً أن معظمنا يصنع سعادته بنفسه .

٨- هل تهتم بجاذبية مظهرك الشخصى ؟ ... حاول أن تكون الأفضل والأحسن فى نظر الطرف الآخر . حافظ على اعتدال وزنك فى الحدود المعقولة . ينبغى أن تحرصا على قدر كبير من النظافة والأناقة والكياسة.

٩- هل تشتركان بما يكفى فى اللعب وأنشطة الاستجمام ؟ يظل الإنسان محباً للعب ولمن يلعب معه ، من الطفولة إلى الكهولة ، ولا يطيق فراقه . اللعب يساعد الطرفين على فهم بعضهما أكثر ، واللعب ضرورة طبيعية يحتاج إليها الزواج .

١٠- هل تقيمان معاً الشعائر الدينية وتتعاملان وفق القيم والمعايير الإلهية؟ الدين فى البيت ثمرته السعادة . والدين ليس مجرد شعائر تقام ، وإنما سلوك ومعاملات من خلال مكارم الأخلاق ، ومكارم الأخلاق مصدرها الدين .